

المفهوم الخدمي للمكتبات والمعلومات

بقلم رئيس التحرير

والثقافة والتعليم والإبداع العلمي المفيد للبشرية.

بعض التساؤلات:

أشار المشتغلون بفلسفة هذا العلم وتنظيره العديد من التساؤلات التي تتعلق بجوانب مثل:

- * هل هو علم أم فن أم دراسات!
- * هل المجال هو: المكتبات أم المعلومات أم المكتبات والمعلومات أم المعلومات والمكتبات؟
- * هل من الأفضل الانشغال بنظريات تتناول الجوانب المختلفة للمجال وصولاً إلى نظرية موحدة للمجال أم أن العكس هو الصحيح، أى أن نبدأ بنظرية موحدة للمجال؟
- * هل من الضروري الارتباط بمؤسسات معينة؟
- * هل من الضروري وجود قوانين عامة تحكم سير هذا المجال أم أن الأمر لا يتطلب أكثر من الإرشادات العامة أو اللوائح أو النظم وما شابه؟
- * هل المجال يتعلق بكل دورة نقل المعلومات من جوانب فكرية ومادية واقتنائية استخدامية أم أنه يتعلق فقط بالجوانب الاقتنائية الاستخدامية؟
- ليس من السهل الإجابة عن هذه التساؤلات، ولكننا سنعرض فيما يلي بإيجاز لآراء وأفكار بعض الباحثين العرب حول هذه التساؤلات؟

يبدو من الضروري في البداية الاتفاق حول مجموعة من العناصر التي يمكن أن تفسر الإطار العام لعلم المكتبات والمعلومات. هذه العناصر هي:

(١) أن علم المكتبات والمعلومات يشكل مجالاً متميزاً من مجالات المعرفة البشرية له ظاهرة محددة يدرسها، وله موضوعه المحدد الذي ينشغل به مجموعة من المختصين. والظاهرة التي يتناولها العلم بالدراسة هي ظاهرة «المعلومات» بأبعادها المختلفة، أما الموضوع فهو أوعية أو مصادر المعلومات ابتداءً من إنتاجها أو بثها حتى استخدامها أو طلبها.

(٢) أن هذا العلم هو «الدراسة المنهجية والتحليل للمعلومات في كل أشكالها من حيث: المصادر، التطور، الجمع، التنظيم، البث، التقييم، الاستخدام، والإدارة، ويتضمن ذلك القنوات (الرسمية وغير الرسمية) والتكنولوجيا المستخدمة في توصيلها»^(١).

وفي تعريف آخر:

«تخصص يبحث في خصائص المعلومات وطبيعة عملية نقل المعلومات، مع الأخذ في الاعتبار للجوانب العملية المتعلقة بجمع المعلومات وفحصها وتقييمها وتنظيم بثها من خلال الأدوات الفكرية الملائمة والتكنولوجيا»^(٢).

(٣) أن الهدف النهائي هو تحقيق الاتصال المستمر بالمعرفة لعدة أغراض منها الإعلام والترويج

الاتجاه للتنظير لدى الباحثين العرب:

أ/ نظرية الذاكرة الخارجية للدكتور سعد الهجرسي

انشغل الأستاذ الدكتور سعد الهجرسي بوضع تصور أو إطار نظري لتخصص المكتبات والمعلومات في الفترة من ١٩٧٥ حتى ١٩٩١. وقد تطورت الأفكار التي قدمها بعد ولادتها في السبعينات من القرن العشرين بضع مرات حتى ظهرت في آخر صورها في أوائل التسعينات من القرن العشرين.

وهكذا شغل هذا العالم نفسه في وضع حدود موضوعية ثابتة لهذا التخصص، وكان حجر الزاوية في عمله هو ذلك التعبير السهل الممتنع «الذاكرة الخارجية» وقد استخدمه استخداماً علمياً لتوضيح نظريته «نظرية الذاكرة الخارجية». وهو أشبه ما يكون بفرض عام لتفسير وربط مجموعة من القوانين والحقائق في مجالات البحث والتأليف والنشر والاقتناء والتنظيم الفني وخدمات المكتبات والمعلومات والضبط البيولوجرافي وما يتصل بذلك كله من التخصصات الفرعية.

والذاكرة الخارجية في مفهومه هي امتداد للذاكرة الخارجية للفرد، ولكنها تتميز بأنها امتداد مادي محسوس يعتمد على وجود الوسائط الخارجية أو الأوعية ومن ثم فإن عنصر «الوعائية» هو حجر الزاوية في وجود الذاكرة الخارجية باعتبار أنها تتمثل أساساً في الأوعية.

وهو يرى أن الموضوع في تخصص المكتبات والمعلومات هو «المعلومات» بعد أن تجسد في وعاء ما، وأن التخصص يتعامل مع تلك الأوعية من حيث الضبط والاستخدام كجانب من جوانب

الدورة الكاملة للمعلومات التي تضم: الخبرة والمحتوى، التصنيع والتوزيع، الضبط والاستخدام. وهو يرى أيضاً أن الاسم المعياري لتخصص هو «المكتبات والمعلومات»^(٣).

لا شك أن هذا الإسهام الرائد له قيمته الكبيرة كفكر متميز، إلا أن المشكلة ظهور تطورات تكنولوجية هائلة في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الواحد والعشرين تمثلت في قمتها في الإنترنت كشبكة عالمية للمعلومات. وقد أثرت هذه التطورات في مفهوم الوعائية فلم يعد من الضروري تقديم المعلومات في وعاء مادي، كما أثرت في مفهوم الاقتنائية، فقد صارت الإتاحة أهم من الملكية.

ب/ النظرية الرابطة للدكتور أحمد بدر

يرى الأستاذ الدكتور أحمد بدر أن «النظرية الرابطة أو المشاركة هي النظرية التي يقترحها لتخصص المعلومات والمكتبات، ذلك لأن النقد المعاصر لكل من علم المعلومات والمكتبات - متحدين أو منفصلين - يتمثل في الافتقار للقاعدة المعرفية النظرية التي تميزهما عن العلوم والتخصصات الأخرى، ويتمثل في الافتقار إلى الإطار الفكري الذي يمد الباحثين بإمكانية التنسيق البحثي اللازم للتطوير النظري، فضلاً عن أن كلا من هذين العلمين يعتبران من العلوم الوسيطة أو الرابطة Metasciences ويعتمدان في نموها على علوم أخرى عديدة»^(٤).

ويذكر د. بدر أن هذه النظرية الوسيطة تعتمد كليةً على مفهوم التعددية الموضوعية المتداخلة لعلم

المعلومات وعلم المكتبات نظراً لأن كل منهما يعتبر علماً وسيطاً.

جـ/ امتدادات الذاكرة الخارجية للدكتور كمال عرفات

جذب مصطلح «الذاكرة الخارجية» اهتمام باحث آخر هو الأستاذ الدكتور كمال عرفات. وقد تناول عرفات فكرة الامتداد التي تقوم عليها نظرية الذاكرة الخارجية للهجرسي في ضوء نظرية ماكلوهان الاتصالية الحضارية، واعتبر أن الامتداد لا بد أن تتطور له امتدادات جديدة ومستمرة طالما كان الامتداد ظاهرة تطورية جدلية لا تتوقف في الإبداع ومن ثم يرصد عرفات امتدادات الذاكرة الخارجية التي أمكنه التوصل إليها اعتماداً على الأساس الذي قام عليه بحثه وهو أن الذاكرة الخارجية نشأت كامتداد للذاكرة الداخلية للإنسان.

وقد أورد د. عرفات ١٩ امتداداً منها:

الامتداد الكمي، الامتداد الزمني، الامتداد المكاني، امتداد الضبط البيولوجرافي، امتداد الضبط المرجعي، الامتداد الآلي في تشغيل الأوعية واسترجاع مخزونها، امتداد المعالجة والتحكم، امتداد التفاعل المعرفي مع الذاكرة الخارجية.^(٥)

د/ قراءة فلسفية جديدة لمبادئ رانجاناثان للدكتور هاني عطية:

بعد عرض لمبادئ رانجاناثان الخمسة المعروفة (الكتب وجدت للاستخدام، لكل كتاب قارئه، لكل قارئ كتابه، إحرص على وقت القارئ، المكتبة كائن متنام)

وبعد عرضه لما تناوله كثير من الباحثين فيما

يتعلق بهذه القضية بالمراجعة والنقد والتفسير والإضافة، يقدم هو الآخر خمسة مفاهيم لتقابل مبادئ أو قوانين رانجاناثان بترتيبها ولكن في منظومة المعلومات المعاصرة وهي:

- * المعلومات للمنفعة العامة.
- * المعلومات عمليات قيمة مضافة.
- * المعلومات قيم أخلاقية (تعمل في بيئة اجتماعية - دينية).
- * المعلومات ظاهرة متعددة الارتباطات الموضوعية.
- * المعلومات دالة في الزمان والمكان.^(٦)

المفهوم الخدمي للمكتبات والمعلومات:

أريد بداية أن أؤكد على ضرورة الارتباط بمصطلحين مهمين هما المكتبات والمعلومات.

الأول: «المكتبات» لأنه يعني المؤسسة:

المؤسسة هي الكيان المادي أو حتى اللامادي التي تمارس أنشطة معينة مرتبطة بالمعلومات تؤدي بواسطة أشخاص معينين لخدمة البشر والمجتمع.

والثاني هو: «المعلومات» كسلعة يتم الحصول عليها وتداولها، وهي جوهر التعامل والعمل.

هذا التخصص بلا «مؤسسة» هو تخصص لا هوية له.

وهذا التخصص بلا «معلومات» هو تخصص لا هوية له.

إن المفهوم الخدمي قائم على أن المعلومات التي تنشأ أو توجد يستفيد منها منشئها ويمكن أن يستفيد منها الآخرون أيضاً، وبعبارة أخرى:

الإجازات:

* تعدد المؤسسات: المكتبات، الأرشيفات، المتاحف، الإنترنت، إدارة البيانات فى المكاتب والمواقع الإدارية الأخرى، إدارة المعرفة ومعايير إنشائها.

الركن الثالث:

المعلومات تضبط وتنظم وتبث كى تؤدى خدمة. ومعنى ذلك أن الركن الثالث هو:

أن الضبط والتنظيم والبث للمعلومات هو الأساس الثالث للخدمة. والصياغة بشكل سلبى تكون على النحو التالى: أن عدم وجود ضبط أو تنظيم أو بث للمعلومات يعنى عدم تقديم الخدمة بشكل فعال أو مناسب.

الإجازات:

- * معايير بناء المجموعات وتقييمها .
- * قواعد الفهرسة ونظم التصنيف والمكانز.

الركن الرابع:

المعلومات موجهة لخدمة أفراد أو مؤسسات أو مجتمع. ومعنى ذلك أن الركن الرابع هو:

الكيان أو العلم الطبيعى أو المعنوى فى المجتمع هو الأساس الرابع للخدمة.

والصياغة بشكل سلبى تكون على النحو التالى: لا قيمة للمعلومات ولا قيمة للتخصص المعنى بها ما لم يكن هناك من يستفيد منها.

الإجازات:

- * أساليب دراسة سلوك المستفيدين.

أن هذا المجال هو المعنى بتلبية الاحتياجات المعلوماتية أو الخدمة المعلوماتية للبشر والمؤسسات والمجتمع ومن ثم يمكن أن نصوغ عبارة عامة هى: «تلبية حاجات المعلومات هى الأساس».

وإذا قبلنا هذه العبارة العامة فإننا يمكن أن نحدد أركانها على الوجه التالى:

الركن الأول:

المعلومات المتجسدة فى وعاء مادى أو لا مادى تنشأ لتلبية حاجة مرغوبة أو متوقعة.

ومعنى ذلك أن الركن الأول هو:

أن المعلومات المنتجة بشكل ما هى الأساس الأول للخدمة، والصياغة بشكل سلبى تكون على النحو التالى: إن عدم وجود معلومات يعنى عدم وجود ركن من أركان هذا العلم أو التخصص.

من الإجازات:

* القياسات الببليوجرافية وقياسات المعلومات والقياسات العلمية للنتاج الفكرى.

* معايير إنتاج مصادر المعلومات.

* معايير تقييم مصادر المعلومات.

الركن الثانى:

المعلومات تقتنى و/أو تتاح كى تؤدى خدمة. ومعنى ذلك أن الركن الثانى هو:

إن مؤسسات المعلومات هى الأساس الثانى للخدمة، والصياغة بشكل سلبى تكون على النحو التالى: إن عدم وجود مؤسسات معلومات يعنى عدم وجود ركن من أركان هذا العلم أو التخصص أو عدم إنجاز له لدوره.

المصادر

ومدخل منهجى عربى .- الرياض: دار المريخ للنشر، ١٩٩١.

(٤) أحمد بدر . بناء النظرية فى علم المعلومات والمكتبات .- عالم الكتب .- مج ١٣ ، ع ٣ (مايو/ يونيو ١٩٩٢).- ص ٢٢٦ - ٢٤٨ .

(٥) كمال عرفات نبهان. الذاكرة الخارجية وامتداداتها: دراسة فى علم المعلومات والاتصال .- القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٥ .

(٦) هانى محبى الدين عطية. مبادئ راجاناثان الخمسة فى منظومة الألفية الثالثة: قراءة فلسفية جديدة .- دراسات عربية فى المكتبات وعلم المعلومات .- مج ٦ ، ع ١٤ (يناير ٢٠٠١) .- ص ٢٤ - ٣٩ .

د. محمد فتحى عبد الهادى

Reitz, Joan M. Dictionary for library (١) and informadion science .- Westport, Conn.: Libraries Unlimited, 2004 .- p. 358.

Bottle, R. T. Information science .- (٢) p. 295.

In International encyclopedia of in formation and Library science. - 2nd ed .- London: Routledge, 2003.

(٣) سعد محمد الهجرسى. الإطار العام للمكتبات والمعلومات، أو، نظرية الذاكرة الخارجية .- القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٠؛ المكتبات والمعلومات: أسس علمية حديثة